إنجيل يوحنا: رحلة الإيمان

« حدث إنشقاق »

(٧: ١-٥٣)

تأليف: بروس مكلارتي

لقد لُقب يسوع باسماء عديدة. معظمها رائع وجذاب مثل: « المسيح العظيم »، و« المسيح المنقطع النظير »، أو كما قال وليم باركلي: « المسيح الفائق القدرة ». ولكن هناك أوصاف أخرى حقيقية وهامة ليسوع. يمكن ان يُلقب أيضاً بـ « المسيح المثير للجدل »، « المسيح المسبب للخلاف والانشقاق »، أو « المسيح مسبب الاستقطاب »، لأنه حيثما ذهب كان مصدر جدل ومناقشات حادة.

عندما نصل الى الأصحاح السابع من إنجيل يوحنا نجد دليلاً هاماً عن هوية يسوع. نرى شهادة يوحنا المعمدان، ومعجزة تحويل الماء إلى خمر، وتطهير الهيكل، والنهضة الروحية في السامرة، وشفاء ابن رجل الملك، والإنسان المقعد، وإطعام الخمسة آلاف، والحديث عن خبز الحياة. ماذا نفعل بهذه المعلومة؟ يساعدنا الأصحاحان السابع والثامن على فهم السؤال « من هو يسوع؟ » بمشاهدتنا كيف كانت ردود الفعل من قبل الجموع على ادعاءاته. آمن به البعض، ولم يؤمن البعض الآخر، وأراد البعض قتله.

يستهل الأصحاح السابع بالحديث عن يسوع في الجليل بينما كان الاحتفال بعيد المظال قريباً. مع ان هذا العيد غير مألوف للمسيحيين كما هو الحال بعيد الفصح، إلا انه كان ذا أهمية كبرى لليهود في أيام يسوع. ويسمى أيضاً بعيد « الحصاد ». كان عيد المظال واحد من الاعياد السنوية الثلاثة الكبرى عند اليهود. كان يحتفل به في حوالي منتصف شهر أكتوبر، اي بعد ستة شهور تقريباً من عيد الفصح. خلال هذا العيد يبني الناس مظلات من أغصان الشجر وينامون فيها كل ليلة لمدة اسبوع. كان ذلك تذكاراً لأسلافهم الذين ناموا ذات مرة في البرية عندما كانوا تائهين فيها. ولانه كان يأتي بعد وقت الحصاد، كان بمثابة مناسبة يقدموا فيها الشكر لرب الحصاد على نجاح الحصاد. كان عيد المظال وقتا للاحتفال، وربما كان ذلك الوقت المفضل عند أطفال اليهود. عندما كان وقت العيد يقترب، والناس يأتون إلى أورشليم من كل صوب. طلب إخوة يسوع منه ان يحضر الفصح، إذا قالوا: « إن كنت تعمل هذه الأشياء فأظهر نفسك للعالم » (٧: ٤). و« لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به » (٧: ٥)، كانوا يتكلمون بسخرية. ربما كانوا يقصدون بكلامهم هذا: « أنت تظن بانك إنسان مهم لأن أهل القرى هؤلاء يتبعونك في كل مكان. لماذا لا تذهب إلى مدينة أورشليم الكبيرة حيث يكون الناس أكثر ثقافة؟ وانظر إذا كان يتبعك أحد! » ما زالوا يفكرون بصيغ أرضية دنيوية، معتبرين يسوع شخصية سياسية. كانت استجابة يسوع الأولى هي ان يبقى في الجليل ولا يذهب إلى العيد. كان يعلم بان حياته في خطر اذا ما ذهب الى أورشليم (٥: ١٨؛ ٧: ١) ورفض أن يعمل بمشيئة غير الذي للآب (٧: ٦ ، ٨ ، ٣٠). ونتيجة لذلك بقى في الجليل وترك إخوته يذهبون أولاً إلى العيد.

بعدما مضى إخوته، ذهب يسوع إلى العيد، ولكن ليس حسب رأي إخوته. بل ذهب إلى

أورشليم بكل هدوء مخفيا هويته.

تعاليمي هي من فوق

حتى هذه النقطة بدأ يوحنا بالتركيز في كتابه على الكيفية التي استجابت بها الجموع لتعاليم يسوع في أورشليم خلال عيد المظال. تصور يسوع يتجول في المدينة، دون ان يعرفه احد، يقف ويستمع إلى مناقشاتهم وهم يتحدثون عن يسوع الناصري. وفي أثناء ذلك، كان قادة اليهود ينتظرون وصوله بخوف وهم متوقعون صداماً آخر معه. كانت الجموع منقسمة الرأي فيما يتعلق بيسوع. قال البعض «انه صالح»، بينما اصرآخرون على انه «يضل الشعب» (٧: ١٢). كانت هذه المناقشات تدور بالخفاء وبرهبة، لأن الناس كانوا مهددين من قبل قادتهم. لقد تفشى الخبر وعم المدينة بان السلطات تريد ان تقتل يسوع وبان الذين يأيدونه يكون لهم المصير نفسه!

ولما انتصف العيد، صعد يسوع إلى الهيكل حيث كان الجمع، وبدأ يعلم. فاندهش قادة اليهود بسبب حكمته، وتعجبوا كيف كان حكيماً «وهو لم يتعلم» (٧: ١٥).[1] وأكد يسوع على انه لم يكن مصدر التعليم، بل كان تعليمه من الذي أرسله. علاوة على ذلك، أكد يسوع لمستمعيه بان كل من أراد أن يعمل مشيئة الآب يستطيع أن يعرف ما إذا كان تعليم يسوع هو تعليم صحيح (٧: ١٦-١٩): «أجاب يسوع وقال: تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني. إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي ...».

العلاقة بين الطاعة والإيمان هي علاقة ضرورية. كتب كاتب ما ما يلي: «من يؤمن هو فقط الذي يطيع، والذي يطيع هو الذي يؤمن».[2] يتم التعبير عن هذه الحقيقة بطريقة رائعة في الترنيمة الإنجليزية: «ثق وطع».

ولكننا لا نقدر أبداً ان نثبت
بهجة محبته
حتى نضع الكل على المذبح؛
لأن عمل المعروف الذي أظهره،
والفرح الذي منحه،
هما لأجل الذين يثقون ويطيعون.

صرح يسوع بانه كما يقودنا روح التواضع والطاعة إلى الإيمان، هكذا يجعلنا روح التكبر والتمرد متجاهلين الله.

عندما انتهر يسوع بعض الذين كانوا في الجمع قائلا بانهم يريدون قتله، أنكروا مثل هذا، وقالوا ان بيسوع شيطان (٧: ٢٠). بهذا كانوا يقولون بطريقتهم الخاصة: «أنت مجنون!» ومع ذلك أصر يسوع في اتهامه لهم، واستمر ليذكر لهم شفاءه للإنسان المقعد،[3] وهو الحدث الذي جعل قادة اليهود يريدون قتله (٧: ٢١-٢٤).

قد نزلتُ من السماء

ارتبك الجمع أكثر باستمرار المواجهة. وتعجب بعض الناس من يسوع الذي قيل عنه الكثير ومع ذلك سُمح له ان يعلم علناً في الهيكل (٧: ٢٥ و٢٦). اخفاق قادة اليهود في الامساك بيسوع جعل البعض يتعجبون ما إذا كان قادة اليهود قد استخلصوا بان يسوع هو بالحقيقة النبي أو المسيا. وانزعج البعض من حقيقة ان يسوع جاء من الناصرة (٧: ٢٧). كانوا يتمسكون بانه لا يعلم أحد من أين يأتي المسيا. نرى الارتباك مرة أخرى وصراع الجمع عندما كان الناس يحاولون ان يقرروا ما إذا كان يسوع من الله الآب أم من الشيطان.

العبارة التالية كانت إجابة على أسئلة الجمع في الهيكل. «فنادى يسوع...» معلناً للجميع بانه كان قد أُرسل من الآب في السماء (٧: ٢٨ و٢٩): «... تعرفونني وتعرفون من أين أنا ومن نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو حق الذي لستم أنتم تعرفونه...»

---

[1] في أعمال الرسل ٤: ١٣، قيل عبارة مشابهة عن بطرس ويوحنا بسبب شجاعتهما وثقتهما في الوقوف أمام مجلس اليهود (السنهدريم).

[2] مقتبس من دايتريج بونهوفر في كتابه بعنوان: ثمن التلمذة.

[3] أنظر يوحنا ٥: ١-١٨.

كان يسوع يجعل الناس يتعجبون، ويغيظ الكثيرون ويجبر كل واحد ان يقرر ما إذا كان كلامه حق أم لا. بعد سماع مثل هذه التصريحات الجريئة عن نفسه، لم يقدر أحد أن يبقى محايداً بما يختص بهذا الإنسان الذي يدعى يسوع!

تعالوا إليّ واشربوا

لم يعتبر قادة اليهود كلام يسوع في الهيكل سوى انه تجديف خطير. لقد فهم هؤلاء الناس ادعاء يسوع الواضح بانه ابن الله. ونتيجة لذلك حاولوا أن يلقوا عليه القبض. ولكنهم لم يستطيعوا ان يفعلوا ذلك، وتذكرنا كلمات يوحنا مرة أخرى بان يسوع لم يقبل ان يفرض عليه جدول مواعيد غير الذي وضعه الآب السماوي (٧: ٣٠). يظهر خوف القادة الشديد في ان الناس بدأوا يؤمنون بيسوع أكثر فأكثر (٧: ٣١). عندما سمع الفريسيون ما كان الناس يتهامسون به عن إيمانهم الذي كان ينمو، أرسلوا حراس الهيكل ليلقوا القبض على يسوع (٧: ٣٢). لقد عجزوا أيضاً عن القبض عليه حتى عندما أتى الوقت الذي كان هو مستعد فيه – وكان ذلك بعد وقت من الزمان (٧: ٣٣–٣٦).

في اليوم الأخير من العيد، وقف يسوع مرة أخرى ونادى علناً بانه المسيا. وفي هذه الاثناء تحدث عن نفسه بانه ينبوع الماء الحي. ربما ادعى بهذا عند القيام بشعائر معروفة كجزء من عيد المظال، حيث كان الكاهن يقوم بالذهاب إلى بركة سلوام كل يوم، ويملأ ابريقاً ذهبياً بالماء، ويحمله في ما يشبه بموكب احتفالي إلى الهيكل. وهناك يُسكب الماء كتقدمة شكر لله.

في اثناء هذا الاحتفال السار، قال يسوع: «إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب: تجري من بطنه أنهار ماء حي» (٧: ٣٧ و٣٨). والأهم أيضاً هو ان يوحنا كتب عن يسوع في هذه المرحلة: «قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين ان يقبلوه. لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطيَ بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجّد بعد» (٧: ٣٩).

ولأن يسوع كان قد كثّف تعليمه خلال العيد، صارت استجابة الذين كانوا يستمعون إليه قوية أيضاً. وبحلول نهاية الفصح كان البعض يقولون: «هذا بالحقيقة هو النبي» بينما قال آخرون: «هذا هو المسيح» (٧: ٤٠ و٤١). كانت حماستهم في ذلك الوقت قد بلغت حماسة الخمسة آلف الذين كانوا قد أكلوا من الأرغفة والسمك في الجليل (٦: ١٤). وكانوا مستعدين ان يقبلوا يسوع كمن أُرسل من قبل الله. اعترض آخرون على ما كان يقوله يسوع، واغتاظ آخرون جداً بحيث واصلوا بمطلبهم للقبض عليه. وفي تعليق يبدو بانه يلخص هذا الأصحاح كله كتب يوحنا: «فحدث انشقاق في الجمع بسببه» (٧: ٤٣).

لما عاد حراس الهيكل إلى رؤساء الكهنة، رجعوا بصفر اليدين، أي دون ان يقبضوا على يسوع. كانوا هم أيضاً في رهبة من يسوع ومن كلمات الحكمة التي كان يتكلم بها. قالوا: «لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان» (٧: ٤٦). لما سمع القادة هذا، امتلأوا غيظاً. فاستهزأ رؤساء الكهنة والفريسيون بحراس الهيكل وقالوا لهم بان الجهلاء هم وحدهم الذين ضللهم يسوع. سأل القادة حراس الهيكل وهم يتوقعون ان تكون إجابتهم «لا»، قائلين: «ألعلكم أيضاً قد ضللتم؟ ألعل أحداً من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به؟» (٧: ٤٧ و٤٨). ومن ثم نرى نيقوديموس يظهر للمرة الثانية في إنجيل يوحنا.

تقدم نيقوديموس بصفته عضوا في مجلس اليهود وذكر لزملاءه بان الناموس لم يدن إنساناً إن لم يسمع منه أولاً (٧: ٥٠ و٥١). هذا ليس كاعتراف بالإيمان بيسوع، ولكنه خطوة جريئة لهذا الرجل الذي كان يطلب الله والذي جاء إلى يسوع في وقت سابق ليلاً. كان إيمان نيقوديموس بيسوع قد نمى، ولكنه ظل تلميذ في الخفاء، لأنه كان يخاف من قادة اليهود. كانت إجابتهم على تعليق نيقوديموس سريعة وغاضبة؛ إذ قالوا: «ألعلك أنت أيضاً من الجليل؟...» (٧: ٥٢). لم يكونوا يتكلمون بالمنطق، بل كان ذلك رد الفعل من جانبهم. لم يريدوا الحصول على الحقيقة؛ بل أرادوا ان

يسكتوا كل من يحاول الدفاع عن يسوع. قصدوا بسؤالهم هذا: «هل أنت أحمق وجاهل وهرطوقي؟» ظهور نيقوديموس هذا يتناسب مع ختام هذا الاصحاح الذي تم فيه تقديم يسوع على انه شخصية مثيرة للجدل ومسببة للخلاف والشقاق. هكذا ايضا يكون معظم الناس الذين يسببون الخلاف والشقاق بسبب صفة الخساسة والتكبر لديهم، ولكن لم يكن هكذا الحال مع يسوع. منذ بداية هذا الإنجيل، أعلن يوحنا بان يسوع أجبر الناس ليتخذوا قراراً صعباً مبنيا على الحق (١: ١١ و١٢). إما ان يحبه الناس في النهاية أو يبغضوه (٧: ٧). لا يسمح يسوع لأي منا بعدم اتخاذ القرار.

الخلاصة

تبرز معركة «ألامو» في تاريخ أمريكا كمثال جيد لاتخاذ قرار حاسم. ففي سنة ١٨٣٦ قامت فرقة عسكرية تقدر بمئتي رجل بمهمة دفاعية صغيرة بمدينة سان انطونيو بولاية تكساس مقابل فرقة مؤلفة من ستة آلاف من الجيش المكسيكي، يقودها اللواء سانتا آنا. استطاعوا الدفاع عن قلعة ألامو لمدة اسبوعين امام تلك القوة الساحقة. وفي الخامس من شهر مارس، اي في الليلة قبل الهجوم الأخير، دعى وليم بارت داڤيس قائد جيش تكساس إلى عقد اجتماع مع رجاله. قال لهم بانه كشف النقاب بان المحتلين سيقتحمون أسوار القلعة في اليوم التالي، فأخذ سيفه ورسم خطاً على الأرض. ودعى كل من أراد ان يبقى ويدافع عن ألامو ان يعبر الخط. ففعلوا كذلك واحداً فواحداً. طلب جيم بوي الذي كان طريحاً في الفراش ان يأخذوه عبر الخط. ومن بين ١٨٤ رجلاً رفض شخصا واحداً فقط ان يعبر الخط. وفي اليوم التالي قُتل جميع الذين كانوا يدافعون عن ألامو في المعركة. لم يكن بالامكان الوقوف على الخط في ذلك اليوم! بل كان يجب اتخاذ قراراً ما.

في العام الماضي[٤] تقدم طالب جامعي إلى الأمام اسجابة لدعوة تبشيرية. بدت العبارة التي كتبها وكأنها مأخوذة من الأصحاح السابع من إنجيل يوحنا: «منذ وقت طويل حاولتُ ان أكون في منطقة محايدة إلا لاكتشف بانه ليست هناك منطقة محايدة». بالحقيقة لا يمكن لأحد ان يبقى دون اتخاذ قرار أو محايداً عندما يتعلق الأمر بيسوع. هل قررت ان تكون مع يسوع أم ضده؟

[٤]تم تأليف هذا العدد في عام ١٩٩٦. العام الماضي يعني عام ١٩٩٥م.

ثلاث آيات مختصرة من إنجيل يوحنا

وفي اليوم الأخير العظيم من العيد، وقف يسوع ونادى قائلاً: إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي كما يقول الكتاب، يجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين ان يقبلوه. لأن الروح القدس لم يكن قد أُعْطِيَ بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد (٧: ٣٧-٣٩).

١. «يشرب» (٧: ٣٧) هذا يذكرنا بالمرأة السامرية (في الأصحاح الرابع)، والحديث عن خبز الحياة (في الأصحاح السادس)، والمطالبة بالإيمان بيسوع.
٢. «آمن» (٧: ٣٨) يذكرنا مرة أخرى بان بناء الإيمان هو الغرض من هذا الإنجيل (٢٠: ٣١).
٣. «ماء حي» (٧: ٣٨) هو تذكار لما قاله يسوع للمرأة السامرية (٤: ١٣ و١٤) وعطية «الحياة».
٤. «الروح» (٧: ٣٩) هذا يرمز إلى التوكيد على الروح القدس الذي سيأتي في ما بعد في هذا الإنجيل (في الأصحاحين ١٤؛ ١٦).
٥. «مُجِّد» (٧: ٣٩) يدور إنجيل يوحنا كله حول رؤية مجد الله في يسوع. الرؤية الأخير للمجد تظهَر في الصليب.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧